

أزمة جائحة كورونا وإمكانية إحداث تغيير في هرمية النظام الدولي The Crisis of the Coronavirus Pandemic and the Possibility of Change in the Hierarchy of the International System

شريعة كلاع*

جامعة الجزائر 3 - الجزائر

cherifaklaa@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/12/31 تاريخ القبول: 2021 / 10 / 01 تاريخ الارسال: 2021 / 06 / 22

ملخص:

يحتاج هذا البحث في إمكانية أن تؤدي أزمة جائحة كورونا إلى إحداث تغيير في هرمية النظام الدولي، وذلك من خلال الوقوف على بعض ملامح ومؤشرات تشكل نظام دولي جديد، في ظل تراجع القوة والهيمنة الأمريكية وصولاً إلى جائحة فيروس كورونا وما أحدثته، وكذا التعرف على الاحتمالات الجيوبوليتيكية التي أحدثتها وستحدثها جائحة كورونا في العالم، من خلال الاعتماد على المنهج التاريخي والإحصائي، وتشير نتائج هذه الدراسة إلى أن مستقبل النظام الدولي وحقيقة حدوث تغيير في هرميته متوقف على انعكاس التنافس الأمريكي الصيني وما ستحدثه جائحة كورونا التي لم تنتهي بعد في العالم. **كلمات مفتاحية:** جائحة كورونا؛ إمكانية؛ إحداث؛ تغيير؛ هرمية النظام الدولي.

Abstract:

This research paper argues that the Coronavirus pandemic crisis may lead to a fundamental change in the hierarchy of the international system. A fact that is to be depicted through identifying some of the features and indicators of the formation of a new international order, ranging from the decline of the American power and hegemony to the outbreak of the Covid-19 pandemic and its multifaceted economic and geopolitical consequences. The results of this study indicate that the future of the international system and any potential shift in its hierarchy mainly depend on the implications of the American-Chinese competition as well as the outcomes of this long-lasting pandemic.

Keywords: Corona pandemic; Possibility; events; A change; hierarchy of the international system.

مقدمة

لقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى إنشاء هيئات عالمية ومؤسسات اقتصادية دولية، وكذا ترتيبات ومنظمات أمنية ثنائية وإقليمية، ومبادئ سياسية ليبرالية من أجل السيطرة على النظام الدولي، وقد ظهر ذلك بشكل جلي من خلال مرحلة ما بعد الحرب الباردة والتي نجحت فيها في التفرد بالعالم وجعله ذا نظام أحادي القطبية مُسيّرًا نحو تجسيده بقيم العولمة والديمقراطية الليبرالية والحفاظ على ما وصلت إليه قدر المستطاع، مع ضمان عدم بروز قوى أخرى تشاركها الزعامة وتقاسم مناطق النفوذ في العالم، رافعة شعار "إذا لم تكن معي فأنت ضدي"، وخلال السنوات الأخيرة بدأت القوى الناشئة وذات الاقتصاد المتنامي سنة بعد سنة وبشكل متسارع، في البروز مهددة بأفول نظام القطب الواحد، داعية إلى نظام متعدد الأقطاب على غرار الصين وبالموازاة مع عودة روسيا وبقوة في كل المجالات في النظام الدولي، وهو ما يفسر الدعوة إلى رؤية بديلة لمستقبل النظام الدولي، خاصة في ظل الإدارة الأمريكية التي ترأسها الرئيس السابق "دونالد ترامب"، والذي قام بتصرفات وقرارات ساهمت في الامتعاض الدولي منه ومن قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على قيادة العالم وحدها، وهو ما جعله يعلن حربا تجارية مع الصين، ولعل ظهور فيروس "كورونا كوفيد 19" قد نقل ذلك الصراع إلى حرب بيولوجية من خلال توظيف هذا الفيروس، والذي من دون شك أحدث وسيحدث تأثيرات على الواقع الدولي، ستمس بالتحديد التحالفات والتحولات الجيوسياسية، وكذا قضايا الهجرة وحقوق الإنسان، الأمن الاجتماعي، الاقتصادي والصحي، مجسدا صراعات اقتصادية في النظام الدولي وتتافسا على الزعامة في مناطق معينة، وعليه سيكون هناك معالم ورهانات ستحدثها جائحة فيروس كورونا، تعيد صياغة التشكلات الجيوسياسية.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة تحليلية تحاول الإلمام بموضوع أزمة جائحة كورونا وإمكانية إحداث تغيير في هرمية النظام الدولي، باحثا في إمكانية حدوث أفول لنظام القطب الواحد وتشكل عالم متعدد الأقطاب، قد ساهم الفيروس المستجد في إبراز مؤشرات تنبؤ إلى إعادة تشكيل النظام الدولي ميزته أنه سيكون متعدد الأقطاب بعيدا عن التفرد الأمريكي بالزعامة.

إشكالية البحث: إن الموضوع البحث يقف بإثارة تساؤلات عدة أحدثتها التحولات الاقتصادية والسياسية بين الدول الكبرى، وقد كانت لجائحة فيروس كورونا أن أثرت على الواقع الدولي، وهو ما أمكن من صياغة الإشكالية الرئيسية للبحث والمتمثلة فيما يلي: هل ستكون هناك تحولات جيوسياسية بعد جائحة كورونا تؤدي إلى إعادة تشكيل العالم والسير نحو عالم متعدد الأقطاب وإحداث تغيير في هرمية النظام الدولي؟

فرضية البحث: إن إعادة تشكيل وإمكانية إحداث تغيير في هرمية النظام الدولي والسير نحو عالم متعدد الأقطاب متوقف على التحولات الجيوسياسية التي أحدثتها وستحدثها أزمة جائحة كورونا.

منهج البحث: تم الاعتماد في هذا البحث على المنهج التاريخي وكذا الإحصائي الذين يخدمان موضوع البحث مما يساعد في محاولة الإجابة على إشكالية الموضوع المطروحة.

- عناصر البحث: سنحاول من خلال هذا البحث معالجة موضوع: "أزمة جائحة كورونا وإمكانية إحداث تغيير في هرمية النظام الدولي"، وعن ذلك من خلال الاعتماد على المحاور التالية:
- 1 - فيروس كورونا وأفق عالم متعدد الأقطاب.
 - 2 - سياسة فرض الأمر الواقع وإعادة تشكيل نظام عالمي متعدد الأقطاب.
 - 3 - الاحتمالات الجيوبوليتيكية التي أحدثتها وستحدثها جائحة فيروس كورونا في العالم.
- أولاً: فيروس كورونا وأفق عالم متعدد الأقطاب

تواجه دول وحضارات العالم أثناء تطورها مجموعة من التحديات، فإذا تغلبت عليها يمكنها مواصلة مسيرة نهضتها وتقدمها، وعندما يكون التحدي أكبر من قدرة الحضارة على مقاومته كالتحديات التي أحدثتها جائحة فيروس كورونا في العالم، فإنها تكون أمام احتمالين؛ إما الانسحاب المؤقت وإعادة الكرة من جديد، أو الدخول في مرحلة الجمود الحضاري المنتهي بالموت حسب الباحث "أحمد بن ضيف الله القرني"، بمعنى أن العامل الأساس الذي يقرر صيرورة الأمم ومساراتها الحضارية، وفقاً لنظرية "التحدي والاستجابة" (Challenge and Response) للمؤرخ البريطاني "جوزيف توينبي" (Joseph Toynbee) (1889 - 1975م)؛ هو قدرتها على الاستجابة لهذه التحديات والمخاطر ومرونتها في التعامل مع كل أبعادها، ويمكن الاستدلال في هذا الصدد أيضاً بمقولة الفيلسوف الألماني "سبنجلر" (Spengler): "إن التاريخ الإنساني ليس خطأ مستقيماً إلى التقدم، بل هو دوريات متعاقبة من النمو والانحلال"، وهكذا كان حال نشوء وسقوط القوى العظمى منذ فجر التاريخ، وإلى غاية تشكل نظام الثنائية القطبية في مؤتمر "يالطا" بنهاية الحرب العالمية الثانية، وحتى سقوط الاتحاد السوفياتي عام 1989م، فمنذ إعلان الرئيس الأمريكي السابق "جورج بوش الأب" عام 1990م عن ولادة "نظام عالمي جديد"؛ والولايات المتحدة الأمريكية تتنامى هيمنتها الأحادية دون منافس حتى وصلت الذروة في عهدي الرئيس السابق "جورج بوش الابن" (2001 - 2009م) حينما ساد اعتقاد لدى تيار المحافظين الجدد بأن الأمة الأمريكية بلغت فعلاً مرحلة "نهاية التاريخ" على طريقة "فرانسيس فوكوياما" (Francis Fukuyama) (1952 - /)، وأنها لحظة "القرن الأمريكي" بما يستتبعه من حوكمة للعالم وتدويل للعولمة الرأسمالية بتجلياتها الاقتصادية والثقافية والعسكرية تحت شعار "جورج بوش الابن" القائل "إن لم تكن معي فأنت ضدي"، فبالرغم من الاصطفاف الدولي رغبة أو رهبة مع الولايات المتحدة الأمريكية في حربها ضد الإرهاب، فإن أعراض "الوهن الاستراتيجي" قد دبّت في مفاصل مشروع القرن الأمريكي الجديد، وهذا ما وصفه بها وزير خارجية فرنسا السابق "أوبير فرين" (Aubert Frén) بأنه تبعات "قرط القوة الأمريكية"، التي تجلت في صعوبة إدارة الفوضى الناتجة عن حربي أفغانستان والعراق، إضافة إلى حالة ضعف العائد الاستراتيجي، مقابل التكلفة التي بلغت ما يقارب 6 تريليونات دولار، قد أفضت إلى نكسة حقيقية للقدرة الاقتصادية الأمريكية والتي تكلفت بانهباء أسواق المال الأمريكية في عام 2008، وتراجع سمعة الولايات المتحدة الأمريكية وتقلها العالمي مقابل صعود قوتين جديدتين هما الصين

وروسيا، وهذا ما ألقى أعباء كبيرة على إدارتي الرئيسين السابقين "باراك أوباما" و"دونالد ترامب" لمعالجة الآثار الناجمة من سياسات الإدارة السابقة لهما والاضطرار إلى الانكفاء نسبيا للداخل، بما أسماه الرئيس "أوباما" بـ "الصبر الاستراتيجي" و"القيادة من الخلف"، ولم تكن الولايات المتحدة الأمريكية تعاود انتعاشها حتى أصابتها جائحة فيروس "كورونا كوفيد 19"، والتي شكلت أكبر هزة اقتصادية لها منذ كساد عام 1929م¹.

إن ما سبق ذكره كان مُدعاة لوضع سؤال القرن الحالي وفي بداية عقده الثالث؛ هل ستستمر الولايات المتحدة الأمريكية كقوة وحيدة تهيمن على النظام الدولي، أم أننا بصدد الانتقال تدريجيا إلى توازن استراتيجي جديد يفرض منطق عالم متعدد الأقطاب؟ فحسب الباحث "أحمد بن ضيف الله القرني" يرى أن يرى أنه لا يزال من المبكر الحكم بأن عالم ما بعد كورونا سيشهد ولادة نظام عالمي جديد، حيث أن ما سنواجهه هو استمرار انكفاء الإرادة السياسية الأمريكية؛ ليس بسبب ضعف القوة الأمريكية، بقدر ما هي الحاجة للقيام بجرد حسابات بمعنى "مراجعة الأداء الاستراتيجي" والخروج بخيارات استراتيجية ستكون الأولوية فيها لسياسات الإنعاش الاقتصادي والتجاري، وتطوير السياسات الاجتماعية التي تهم الناخب الأمريكي، بالتوازي مع استمرار التصعيد للحرب التجارية ضد الصين، مثل فرض تعريفات جمركية جديدة، وشروط على قوانين الملكية الفكرية، وقوانين تجارية أخرى، في وقت وصل حجم التجارة بين الدولتين إلى 737 مليار دولار لعام 2018م بعجز تجاري لصالح الصين بلغ 378 مليار، كما ستواصل الولايات المتحدة الأمريكية من خلال مفهوم "القوة الذكية" فرض الردع الاستراتيجي ضد من يقف أمام مصالحها أو يتعرض لمناطق نفوذها، أو يهاجم حلفاءها، لكنها في ذات الوقت لن تغامر مرة أخرى في شن حرب عسكرية استباقية شاملة، إذ ستعتمد أكثر على تنفيذ ضربات عسكرية انتقائية محدودة ضد مراكز ثقل العدو ومفاصله الاستراتيجية وقياداته البارزة، وسيستمر البنتاغون بشكل أسرع في تطوير ترسانتها الإلكترونية وقدراتها في مجال الأجيال الجديدة من الحروب اللاتماسية في مجال الفضاء السيبراني، وهذا ما دفع "القرني" للاعتقاد بأنه رغم تراجع الإرادة الأمريكية، فمن المبكر الحكم بأننا سنشهد أفولا مفاجئا للحظة الأمريكية وولادة نظام عالمي جديد تنصده الصين، فالإدارة الأمريكية حسبه قد مرت بأزمات عديدة منذ بداية القرن العشرين، وأثبتت دائما قدرتها على التعافي والعودة للمنافسة بفضل قدراتها الإدارية والمعرفية والابتكارية، ناهيك عن شركاتها متعددة الجنسيات، وعظم دورها في المنظمات والتحالفات الدولية².

أما عن "ألكسندر دوغين Alexander Dugin" فيرى أن للفيروس التاجي العالمي "كورونا كوفيد 19" آثارا جيوسياسية كبيرة، فلن يبقى العالم كما كان نفسه مرة أخرى، ومع ذلك فمن السابق لأوانه الحديث عن نوع العالم الذي سيتشكل في نهاية المطاف، وما يركز عليه أنه في ظل عدم التمكن من القضاء على هذه الجائحة، هناك نقاط رئيسية غير معروفة ومحل استفسار، هي:

1 - ما نوع الخسائر التي ستعاني البشرية في نهاية المطاف، وكما هو عدد الوفيات؟

2 - من الذي سيكون قادرا على منع انتشار الفيروس، وكيف؟

3 - ما هي العواقب الحقيقية للمرضى والذين نجوا؟

يرى "دوغين" أنه لا أحد يستطيع حتى الآن الإجابة على هذه الأسئلة لو بشكل تقريبي، وبالتالي لا يمكننا حتى تخيل الضرر الحقيقي المحتمل، ففي أسوأ السيناريوهات سيؤدي الوباء إلى انخفاض خطير في عدد سكان العالم، وفي أحسن الأحوال سيكون الذعر سابقا لأوانه ولا أساس له، إلا أنه بعد الأشهر الأولى من الوباء، هناك بعض التغييرات الجيوسياسية العالمية التي تبدو واضحة بالفعل ولا رجعة فيها إلى حد كبير، بغض النظر عن كيفية تشكل الأحداث اللاحقة والمستقبلية، فقد تغير شيء ما في النظام العالمي مرة واحدة وإلى الأبد³.

لقد كانت بداية وباء فيروس كورونا لحظة حاسمة في تدمير العالم الأحادي القطب وانهيار العولمة، إذ ظهرت أزمة أحادية القطبية التي أفشلت العولمة منذ العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، انطلاقاً من أحداث 11 سبتمبر 2001 إضافة إلى النمو القوي للاقتصاد الصيني، وعودة روسيا إلى السياسة العالمية ككيان سياسي متزايد السيادة، وكذا النشاط القوي للعامل الإسلامي، وكذا الأزمات المتزايدة للمهاجرين غير الشرعيين، وصعود الشعبوية في أوروبا وحتى في الولايات المتحدة الأمريكية التي أدت الشعبوية فيها إلى انتخاب "دونالد ترامب" والعديد من الظواهر الموازية الأخرى⁴، وكلها عوامل أدت تدريجياً إلى ذوبان نظام أحادي القطب الذي خلقته الولايات المتحدة الأمريكية بعد نهاية الحرب الباردة، والذي تشكل في تسعينيات القرن العشرين والمتمركز حول هيمنة الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والرأسمالية العالمية، فدخل بذلك النظام الأحادي القطب مرحلة الأزمة، فحسب "دوغين" قد بدأ النظام العالمي المتعدد الأقطاب يتشكل مع فاعلين مركزيين جدد، وما وباء فيروس كورونا إلا نقطة البداية، لقد دفن الوباء العولمة والمجتمع المفتوح والنظام الرأسمالي العالمي، وبدأت المقاطعات الفردية للبشرية تأخذ مساراتها التاريخية المنفصلة - على حد تعبيره - ولقد دفن فيروس كورونا جميع الأساطير الرئيسية للعولمة كمثل:

- كفاءة الحدود المفتوحة والترابط بين دول العالم، فما حققه الفيروس ودحر به فكرة الحدود المفتوحة هو قدرة انتشاره التي جعلت دول العالم تغلق حدودها وتتكمش على نفسها.

- قدرة المؤسسات الفوق وطنية على التعامل مع وضع استثنائي، ونقصه هنا منظمة الصحة العالمية التي أثبتت فشلها في تحقيق حل، وكذا عدم قدرتها على الاحتواء والمساهمة مساهمة فعالة وتقديم المساعدات الإنسانية، ووقوعها تحت تهديد "ترامب" بإخراج الولايات المتحدة الأمريكية منها.

- قوة النظام المالي العالمي والاقتصاد العالمي ككل عندما يواجه تحديات خطيرة.

- عدم جدوى الدول المركزية والأنظمة الاشتراكية والأساليب التأديبية على حل المشاكل الحادة، والتفوق التام للاستراتيجيات الليبرالية عليها.

- الانتصار التام لليبرالية كعلاج لكل الحالات الصعبة⁵.

فلم تتجح حلول العولمة في إيطاليا أو دول الاتحاد الأوروبي الأخرى ولا في الولايات المتحدة الأمريكية، والشيء الوحيد الذي أثبت فعاليته هو الإغلاق الحاد (الجزري) للمجتمع، من خلال الاعتماد على الموارد المحلية، وقوة الدولة القومية وعزل المرضى عن الأصحاء، والمواطنين تجاه الأجانب، ... إلخ، كما نجد في نفس الوقت الدول الغربية قد ردت على جائحة فيروس كورونا بطرق مختلفة، فقد قام الإيطاليون بالحجر الصحي الكامل، أما الرئيس الفرنسي "إيمانويل ماكرون" فقد قدم نظاما دكتاتوريا للدولة (بروح اليعاقبة in the spirit of Jacobins)، وأعطت المستشار الألمانية 500 مليار يورو لدعم السكان، أما رئيس الوزراء البريطاني "بوريس جونسون"، فوفقا لروح الفردية الأنجلوساكسونية، فإنه حسبه يجب اعتبار المرض مسألة خاصة أي فردية لكل إنجليزي ورفض إجراء الفحوصات، متعاطفا بشكل مسبق مع أولئك الذين سيفقدون أحبائهم، أما الرئيس الأمريكي السابق "دونالد ترامب" فقد أعلن حالة طوارئ في الولايات المتحدة الأمريكية، وقام بإغلاق المواصلات وطرق النقل مع أوروبا وبقية العالم، والسؤال الذي طرحه "دوغين" ويطرح نفسه أيضا إذا تصرف الغرب بشكل متباين ومتناقض، فماذا عن بقية الدول الأخرى؟، في وقت لا زال يُتساءل فيه عن دور المنظمات الدولية، فلقد جاءت جائحة فيروس كورونا لتكشف عن معضلة العديد من المنظمات الدولية وتراجع فاعليتها في الاستجابة للأزمات العالمية الطارئة، وقد أظهرت كثيرا من الأزمات والإشكاليات التي تتناوب تلك المنظمات، خاصة منظمة الصحة العالمية المؤولة عن التعامل السريع والفاعل مع الأزمات الصحية الدولية الطارئة، وقد ترسخت هذه القنوات حول أزمات الفاعلية بعد التعثر المبدئي في التعامل مع الانتشار المتسارع للفيروس، مما دفع العديد من دول العالم، وفي صدارتها الولايات المتحدة الأمريكية إلى نبذ العمل الدولي الجماعي، وتفضيلها تبني سياسات قومية حمائية⁶، فحسب "دوغين" فإن جميع دول العالم يحاولون إنقاذ أنفسهم قدر الإمكان، وقد تم تحقيق ذلك على أفضل وجه من قبل الصين، التي وضعت أساليب تأديبية قاسية لمكافحة العدوى، واتهمت الولايات المتحدة الأمريكية بنشرها للفيروس، كما اتهمت إيران التي تضررت بشدة من الفيروس بما في ذلك عددا من قادة النظام الرئيسيين، وما يمكن استشفافه ورؤيته بشكل واضح هو أن فيروس كورونا قد مزق المجتمع المفتوح عن بعضه البعض، وزاد من اندفاع البشرية في رحلتها إلى عالم متعدد الأقطاب، وبغض النظر عن كيفية انتهاء الحرب ضد هذا الفيروس، إلا أنه بات من الواضح أن العولمة قد انهارت، وهو ما يمكن أن يشير إلى نهاية هيمنة الليبرالية كإيديولوجيا كاملة، الأمر الذي جعل من الصعب التنبؤ بالنسخة النهائية للنظام العالمي المستقبلي - خاصة في تفاصيله - خاصة وأن نظام تعدد الأقطاب العالمي لم يكن موجودا من الناحية التاريخية⁷.

ومن المحتمل أن يشمل عالم ما بعد فيروس كورونا مناطق فردية وحضارات وقارات من العالم ستتشكل تدريجيا لتصبح هات فاعلة مستقلة، وفي نفس الوقت من المرجح أن ينهار النموذج العالمي للرأسمالية العالمية، إذ يعمل هذا النموذج حاليا كقسم مشترك لكامل هيكل الأحادية القطبية، من استبداد السوق إلى الديمقراطية البرلمانية وإيديولوجية حقوق الإنسان، بما في ذلك مفاهيم التقدم وقانون التطور

التكنولوجي، التي أصبحت عقائد في أوروبا للعصر الجديد، والتي انتشرت في جميع المجتمعات البشرية عن طريق الاستعمار، بشكل مباشر أو غير مباشر في شكل تغريب، وعليه ستعتمد الكثير من الدول على فكرة قائمة على من سيهزم هذا الوباء وكيف، فعندما تثبت الإجراءات الاحترازية فعاليتها، فإنها ستدخل في النظام السياسي والاقتصادي للمستقبل كعنصر أساسي، كما أنه يمكن الوصول إلى نفس النتيجة من قبل أولئك الذين سيفشلون في تجنب خطر الجائحة عن طريق الانفتاح وتجنب التدابير القاسية، ومن ثمة فإن الاغتراب المؤقت الذي يمليه التهديد المباشر بالعدوى من بلد لآخر ومن منطقة لأخرى، ومن انهيار للعلاقات الاقتصادية، وكذا الاغتراب الضروري من النظام المالي الواحد، سيجبر الدول ضحية جائحة فيروس كورونا إلى السعي لتحقيق الاكتفاء الذاتي، لأن الأولوية ستكون للأمن الغذائي، والحد الأدنى من الاستقلال الاقتصادي والاكتفاء الذاتي لتلبية الاحتياجات الحيوية للسكان، بصرف النظر عن جميع العقائد الاقتصادية التي سادت قبل أزمة جائحة فيروس كورونا، وحتى عندما يتم الحفاظ على الليبرالية والرأسمالية، فسيتم وضعها في الإطار الوطني بروح النظريات التجارية التي تدعو إلى الحفاظ على احتكار التجارة الخارجية في أيدي الدولة، أما بخصوص أولئك الذين هم أقل ارتباطاً بالتقاليد الليبرالية فقد يتجهون إلى اتجاهات أخرى في قائمة التنظيم الأمثل للفضاء الكبير، مع مراعاة الخصوصية الحضارية والثقافية⁸، ومن ثمة فلا يمكن الجزم بما سيتشكل في نهاية المطاف في النموذج المتعدد الأقطاب ككل، ولكن ما يمكن قوله هو أن حقيقة كسر عقيدة العولمة الليبرالية المهيمنة ستفتح فرصاً وسبلاً جديدة تماماً لكل حضارة من الحضارات المتشكلة سابقاً.

ففي مرحلة ما بعد جائحة فيروس كورونا وعن فكرة السلامة متعددة الأقطاب، سيُخلق العالم المتعدد الأقطاب بنية أمنية جديدة تماماً، قد لا يكون أكثر استدامة أو قابلية للتكيف مع حل النزاعات، إلا أنه سيكون مختلفاً في هذا النموذج الجديد، إذ سيكون الغرب والولايات المتحدة الأمريكية وحلف شمال الأطلسي، هذا إذا كان الحلف لا يزال موجوداً أصلاً؛ عاملاً واحداً فقط من بين عوامل كثيرة، ومن الواضح أن الولايات المتحدة الأمريكية نفسها لن تكون قادرة - وربما لن تستطيع، إذا ساد توجه "دونالد ترامب" في نهاية المطاف في الرئاسة لعهد ثمانية - للقيام بدور الحاكم العالمي الوحيد، وبالتالي ستحصل الولايات المتحدة الأمريكية على وضع مختلف بعد انتهاء الحجر الصحي وحالة الطوارئ فيها، فبناء جدار مع حدود المكسيك ودعوة "دونالد ترامب" للأميركيين للتركيز على مشاكلهم الداخلية ربما ستجعل بذلك الولايات المتحدة الأمريكية قوة قوية، إلا أن أيديولوجيتها الرأسمالية الليبرالية ستبقى لنفسها فقط بدلاً من جذب الغرباء، والأمر نفسه ينطبق على أوروبا لذلك فإن العامل الأكثر أهمية في العالم الأحادي القطب سيغير وضعه بشكل جذري، وسيؤدي هذا الأمر بالطبع إلى إعادة توزيع القوى والوظائف بين الحضارات الأخرى، فمن المرجح أن تنشأ أوروبا إذا حافظت على وحدتها إلى درجة معينة، تكتلها العسكري الخاص المستقل عن الولايات المتحدة الأمريكية، والذي تمت مناقشته بالفعل بعد انهيار الاتحاد السوفياتي (مشروع يوروكوربس the Eurocorps Project)،

والذي سبق أن أتى ذكره والتلميح إليه مرارا وتكرارا من قبل الرئيس الفرنسي "إيمانويل ماكرون" والمستشارة الألمانية "أنجيلا ميركل"، نظرا لعدم كونها معادية مباشرة للولايات المتحدة الأمريكية، وعليه فإن مثل هذه الكتلة ستنبع في كثير من الحالات المصالح الأوروبية الخاصة، والتي قد تختلف في بعض الأحيان بشكل كبير عن مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، والجدير بالتنويه هنا أنه أولا وقبل كل شيء ستؤثر على العلاقات مع روسيا وإيران والصين والعالم الإسلامي، سيتعين على الصين أن تحول نفسها من مستفيدة من العولمة إلى التكيف لمتابعة مصالحها الوطنية كقوة إقليمية، وهذا هو بالضبط ما كانت تميل إليه جميع العمليات في الصين مؤخرا من خلال تعزيز قوة الرئيس "شي جين بينغ" (Xi Jinping)، وكذا مشروع "حزام واحد - طريق واحد"، وما إلى ذلك، فلم يعد الأمر يتعلق بالعولمة ذات الخصائص الصينية، بل مشروعا واضحا للشرق الأقصى بخصائص كونفوشيوسية واشتراكية جزئيا، ومن الواضح أن النزاعات في المحيط الهادئ مع الولايات المتحدة الأمريكية ستصبح أكثر حدة في مرحلة ما بعد جائحة فيروس كورونا، كما ستنتمتع روسيا في النظام العالمي المتعدد الأقطاب بفرصة تاريخية لتقوية نفسها كحضارة مستقلة، ستشهد زيادة في القوة نتيجة للانحدار الكبير للغرب وتجزئته الجيوسياسية الداخلية، فقبل أن تعمل روسيا على أن تؤكد نفسها كواحدة من أكثر القطبين تأثيرا وقوة في العالم المتعدد الأقطاب، سيتعين عليها اجتياز اختبار النضج، والحفاظ على وحدتها وإعادة تأكيد مناطق نفوذها في الفضاء الأوراسي، فليس من الواضح حتى الآن حسب "دوغين" أين ستكون الحدود الجنوبية والغربية لروسيا الأوراسية بعد جائحة فيروس كورونا، والذي سيعتمد هذا إلى حد كبير على النظام الروسي، والأساليب والجهود التي ستستخدمها روسيا للتعامل مع الجائحة والعواقب السياسية المترتبة على ذلك، بالإضافة إلى ذلك فمن المستحيل التنبؤ بالضبط بحالة "المساحات الكبيرة" (large spaces) الأخرى، أقطاب العالم المتعدد الأقطاب، وتدرجيا سيتم تشكيل نظام تسوية متعدد الأقطاب إما على أساس إصلاح الأمم المتحدة في ظل ظروف تعدد الأقطاب، أو في شكل منظمة جديدة مرة أخرى، وكل ذلك سيعتمد هنا على كيفية مكافحة جائحة فيروس كورونا⁹.

إن ما يمكن التنويه به هنا هو أنه من الخطأ عدم اعتبار جائحة فيروس كورونا هي نقطة تحول في تاريخ العالم، ولا يقتصر الأمر على انهيار مؤشرات الأسهم وأسعار النفط فقط، بل أن النظام العالمي نفسه ينخفض، نحن نعيش في فترة نهاية الليبرالية حيث ستصبح المجتمعات البشرية مزدهرة قريبا في عالم لا مزيد فيه من العقائد، ولا مزيد فيه من إمبريالية الدولار، ولا مزيد فيه من نوبات السوق الحرة، ولا مزيد فيه من ديكتاتورية البنك الفيدرالي أو البورصات العالمية، ولا مزيد فيه من التبعية لنخبة وسائل الإعلام العالمية، سيبنى كل قطب مستقبلي على أسس حضارية خاصة به هو، فما لم تفعله الإيديولوجيات ولا الحروب ولا المعارك الاقتصادية العنيفة، ولا الإرهاب ولا الحركات الدينية، قد حققه فيروس غير مرئي ولكنه مميت جلب معه الموت والمعاناة والرهب والذعر والحزن ولكنه جلب معه أيضا المستقبل¹⁰.

ثانيا: سياسة فرض الأمر الواقع وإعادة تشكيل نظام عالمي متعدد الأقطاب

بداية يمكن العودة فيما يخص التنبؤات الجيوبوليتيكية وبروز احتمالات قد أوردت إعادة تشكيل النظام الدولي وتغيير ميزان القوة، والتي قد تأثر مفكرها الاستراتيجيين بفكرة الجيوبوليتيكي "تيكولاس جون سبيكمان" (Nicholas John Spykman) (1893 - 1943م) من خلال البحث حول إقامة مراكز صناعية ونقاط اتصال حول بر الإطار القاري (نظرية الإطار لسبيكمان)، والتي ستتقل القوة المسيطرة فيها إلى الدول الطرفية - التي تصبح بدورها القوة المسيطرة في نظام دولي أوسع - وهو ما يؤدي إلى حدوث تحولات جوهرية في مركز القوة السياسية والاقتصادية، وهذه الفكرة قد قادت "أرلوند توينبي" (Arnold J. Toynbee) إلى صياغة مجموعة من التعميمات في كتابه "دراسة للتاريخ" (A Study of History)، حيث لاحظ "أرلوند توينبي" عندما كتب عن المصير الحزين لأوروبا عام 1930م أن¹¹: "تراجع الدول الأوروبية أمام دول العالم الخارجي هو الخاصية الأكثر وضوحاً ما بعد الحرب"¹²، وهذه الدول حسب "أرلوند توينبي" ذات حجم هائل مقارنة بأوروبا؛ فكانت الولايات المتحدة الأمريكية أكثرها قوة، والجزء الأهم في تنبأته هو أنه قد توقع ظهور عمالقة آخرين ذات يوم أيضاً من مثل الاتحاد السوفياتي والبرازيل وكندا والصين والهند، وقد علل هذا التطور بوجود قانون شامل يتمثل في: ميل مركز القوة إلى التحول من مركز النظام الدولي (يقصد دول أوروبا) إلى أطرافه، وقد لاحظ أن القوى في مراكز الأنظمة الدولية (وقد أسماها الحضارات) تميل إلى التصاغر في الحجم وإلى خضوعها في نهاية المطاف لسيطرة القوى الكبرى على أطراف النظم¹³.

وانطلاقاً من أفكار "توينبي" - بعد سنوات عديدة - وكإسقاطات على الوضع الراهن في القرن الواحد والعشرين، وخاصة في السنتين الأخيرتين من العقد الثاني منه، نجد أن الصين تحاول فرض الأمر الواقع في النظام الدولي من خلال جعل العالم متعدد الأقطاب، حيث أن احترام هوية كل شخص وكل حضارة وكل ثقافة وكل دولة تكمن في أساس هذا النموذج المتعدد الأقطاب، والذي تتادي به على وجه الخصوص منذ بدايات العشرية الثانية من القرن الواحد والعشرين، فحسب وجهة النظر الصينية؛ لا يوجد تقدم مطلق ولا انحدار مطلق، ولا يحق لأي شخص اعتبار بعض البلدان أو الشعوب أو الثقافات أكثر تطوراً وأخرى أقل تطوراً، ولا يمكن لأي كان أن يقوم بفرض معايير وقيم فريدة عليها أو على النظام العالمي.

لقد كشفت جائحة كورونا عن ملامح مستقبل مضطرب للتنظيم الدولي، فعلى الرغم من الوظائف الحيوية التي يفترض أن تؤديها المنظمات الدولية في ضبط التفاعلات العالمية وتحفيز التعاون الدولي وتنسيق الاستجابة للأزمات العابرة للحدود، فإن واقع مواجهتها للجائحة قد أثار جدلاً واسع النطاق حول مدى فاعليتها في إدارة الأزمات واحتواء تأثيراتها، نتيجة للوهة المتسعة بين مستوى التوقعات المرتفع لأدوار هذه المنظمات من جانب الفاعلين الدوليين والواقع الفعلي لقدراتها ومواردها والصلاحيات الموكلة إليها، فضلاً عن انتقادات أخرى تتعلق بكفاءة الإدارة وتخصيص الموارد والشفافية والمحاسبة وأدوار القيادات داخل المنظمات الدولية¹⁴، فمنذ مجيء "دونالد ترامب" على رأس الإدارة الأمريكية في 20 جانفي 2017 نوه أكثر من مرة بأن منظمة الأمم المتحدة لا فائدة منها واتهم دولا فيها بعرقلة السياسات والقرارات الأمريكية فيها

وبمعاداتها لإسرائيل، وقد أبدى رغبته في تقليل الالتزام الأمريكي بالمنظمات الدولية، الأمر الذي جعل إدارة الرئيس الأمريكي السابق "دونالد ترامب" تنظر في قرار تخفيض منصب سفير الولايات المتحدة الأمريكية بالأمم المتحدة بجعله منصبا غير وزاري، أما فيما يخص منظمة الصحة العالمية (WHO) فقد ترك "ترامب" المقعد الأمريكي في المجلس التنفيذي للمنظمة شاغرا لمدة عامين، وفي منتصف شهر مارس 2020 ومع اشتداد فيروس كورونا أعلن عن ترشيح مساعد وزير الصحة "بريت جيروير" ليكون ممثلا للولايات المتحدة الأمريكية في المجلس التنفيذي لمنظمة الصحة العالمية، ثم أصدر قرار فك الارتباط بالمنظمة في نهاية شهر ماي 2020¹⁵.

لقد أحدثت جائحة فيروس كورونا انكشافا حول خبرة تعامل المنظمات الدولية مع الأزمات والتحديات العالمية، وأن السلطة السياسية في النظام الدولي لا تقع في يدها، بل في أيدي القوى الدولية الكبرى التي تمنح تلك المنظمات السلطة السياسية إذا كانت تخدم أهدافها الاستراتيجية، وهو الأمر الذي عاجزة إلى حد ما إذا كانت تسعى إلى اتخاذ قرارات تتعارض مع مصالح الدولة المهيمنة والمسيطرة على النظام الدولي¹⁶، والجدير بالإشارة هنا هو أنه في وقت تتراجع فيه القيادة الأمريكية للمنظمات الدولية، شرعت الصين في التوسع في الانخراط بمناصب القيادة في المنظمات التابعة للأمم المتحدة، وما يمكن ذكره في هذا الصدد أن الصين منذ عودتها إلى منظمة الأمم المتحدة في عام 1971م كانت تتحى استخدام حق الفيتو وكانت تفضل الامتناع عن التصويت في القرارات التي لا تؤيدها، حيث لا يمكن تفسير استخدام النقض الصيني في مجلس الأمن على خلفية اعتبارات اقتصادية ومصالح الصين في مختلف دول العالم، ولربما يعود ذلك إلى أن هناك نوع من التفاهم الاستراتيجي بين روسيا والصين يقوم على تبادل استخدام هذا الحق، فتقوم الصين بدعم روسيا في قضاياها مقابل أن تقوم روسيا بدعم الصين قضاياها أيضا، وعلى الغرب إذا ما أراد أن يمرر قرارا أن يحظى بداية برضى هذين الطرفين¹⁷، ولربما كنت الأزمة السورية وكذا قضية الملف النووي الإيراني خير دليل على ذلك، فقد عملت الصين منذ سنوات عديدة على أن يتولى موظفوها مناصب قيادة عليا عديدة في العديد من الهيئات الأممية، فمنذ عام 2019م يرأس وكالة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة "شو دونيو"، الذي شغل منصب وزير الزراعة وشؤون الريف في الصين، بينما يتولى "هولين جاو" الذي بدأ حياته المهنية في وزارة البريد والاتصالات الصينية، للمرة الثانية منصب الأمين العام للاتحاد الدولي للاتصالات منذ عام 2018م، وهي هيئة حاسمة تضع المعايير التقنية لشبكة الاتصالات. كما عين الأمين العام للأمم المتحدة "أنطونيو غوتيرش" في شهر جوان 2017م نائبا وزير الخارجية الصيني السابق "ليو زنمين" في منصب وكيل الأمين العام للشؤون الاقتصادية والاجتماعية، وهي هيئة تقدم المشورة إلى الأمين العام بشأن جميع المسائل المتصلة بالتنمية بما في ذلك تغير المناخ وإدارة الأنترنت وتمويل التنمية، وتتولى "فانج ليو" للمرة الثانية منصب الأمين العام لمنظمة الطيران المدني الدولي (الإيكاو)، كما سعت الصين خلال العقد الأول من القرن الواحد والعشرين إلى إعادة هيكلة بنية وقواعد المنظمات

الدولية، من خلال مزيج من بناء التحالفات، وتقديم الإسهامات المالية في التوقيت الاستراتيجي - الذي تريده - وصياغة رؤية استراتيجية لمستقبل النظام العالمي، وقد أحرزت في ذلك نجاحا في تعزيز انخراطها في منظمة الأمم المتحدة بهدف حماية مصالحها ومراعاة الخصوصية السياسية للدول ونظمها السياسية، وإعادة صياغة قواعد النظام الدولي بحيث تراعي التفاوتات بين الدول على مستوى القيم والثقافات والنظم السياسية¹⁸.

كما أن هناك ما يمكن الإشارة إليه في ما يخص السياسات الصينية في استثمار الأزمة التي أحدثتها جائحة فيروس كورونا، وفرضها لسياسة الأمر الواقع سواء بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية أو غيرها من الدول المناهضة لها، حيث عملت الصين على استغلال تفشي الفيروس بزيادة تفعيل وإحياء "مبادرة الحزام والطريق" وذلك بالتركيز على المجال الصحي لتعزيز مكانة الصين كقوة عالمية لا يستهان بها في القطاع الصحي والأمن الصحي، ففي هذا السياق دعت الصين إلى عقد مؤتمر قمة استثنائية إفريقية - صينية في 17 جوان 2020 من أجل التضامن والتعاون لمواجهة فيروس "كورونا كوفيد 19"، والتي عقدت بالتخاطب عن بعد بتقنية الفيديو، قد ترأسها الرئيس الصيني "شي جين بينغ" ألقى فيها كلمة رئيسية بعنوان: "هزيمة كوفيد COVID-19 بالتضامن والتعاون"، حيث كانت مبادرة مشتركة بين الصين وجنوب إفريقيا بصفتها الرئيس الحالي للإتحاد الإفريقي، والسنغال بصفتها الرئيس الحالي لـ "منتدى التعاون الصيني الإفريقي The Forum on China-Africa Cooperation (FOCAC)"، كما حضر القمة كل من: "ماتامبلا سيريل رامافوسا" رئيس جمهورية جنوب إفريقيا و"ماكي سال" رئيس جمهورية السنغال، و"عبد الفتاح السيسي" رئيس جمهورية مصر العربية، و"فيليكس أنطوان تشيسكيدي تشيلومبو" رئيس جمهورية الكونغو الديمقراطية، و"عبد المجيد تبون" رئيس جمهورية الجزائر الديمقراطية، و"علي بونغو أونديمبا" رئيس جمهورية الغابون، و"أوهورو كينياتا" رئيس جمهورية كينيا، و"إبراهيم بوبكر كيتا" رئيس جمهورية مالي، و"إيسوفو محمدو" رئيس جمهورية النيجر، و"محمد بوهاري" رئيس جمهورية نيجيريا الاتحادية، و"بول كاغامي" رئيس جمهورية رواندا، و"إيمرسون منانغاجوا" رئيس جمهورية زيمبابوي، و"أبي أحمد علي" رئيس وزراء جمهورية إثيوبيا الديمقراطية الاتحادية، وكذا "موسى فقي محمد" رئيس مفوضية الاتحاد الإفريقي، وقد دُعي الأمين العام للأمم المتحدة "أنطونيو غوتيريس" والمدير العام الدكتور "تيدروس أدهانوم غيبريسوس" من منظمة الصحة العالمية كضيف خاص لحضور القمة¹⁹.

وقد أكد الرئيس الصيني فيها على ضرورة العمل معا لبناء مجتمع صحة متاحة للجميع، من خلال التضامن الإفريقي - الصيني، وأن تعزيز التعاون المتعدد الأطراف عامل مهم لتجاوز هذه الأزمة الصحية العالمية، حيث تأتي هذه القمة من خلال حملات الدعم الصينية الموجهة نحو أوروبا بسبب تضرر صورة الصين بالخارج، وانتشار موجة الكراهية والعنصرية المعادية للصين والتي كانت الولايات المتحدة الأمريكية سببا فيها، وقد حدد "شي جين بينغ" في خطابه بالقمة مجالات ستة دع فيها إلى بذل جهود خاصة من قبل

الصين وإفريقيا في الظروف الحالية، وقد ورد في المجال الثالث الذي حدده من المجالات الأربعة بأنه؛ يجب أن نظل ملتزمين بدعم التعددية، إذ ستعمل الصين مع إفريقيا لدعم نظام الحوكمة العالمي الذي يركز على الأمم المتحدة ودعم منظمة الصحة العالمية في تقديم مساهمة أكبر في الاستجابة لتأثيرات فيروس كورونا الذي اجتاحت العالم، مبدية معارضة الصين لتأسيس ووصم فيروس كورونا، وكذا معارضة التمييز العنصري والتحيز الإيديولوجي، مؤكداً ذلك بقوله: "نحن نقف بحزم من أجل العدالة في العالم"²⁰، وعليه يأتي انعقاد القمة الإفريقية - الصينية الاستثنائية وفي هذا الوقت بالذات، لتأكيد الدور الصيني في الاضطلاع بدور قيادي عالمي في سياق مبادراتها لاحتواء الأوبئة العالمية على غرار الجائحة التي اجتاحت دول العالم والتي خلفت آثاراً صحية واقتصادية كبيرة وحتى السياسية التي لم تسلم من فيروس كورونا.

إن محاولات الصين للتمركز في المنظمات الدولية المختلفة قد جعلت بعض المحللين يشككون في نوايا تلك التمرکزات والتغلغل، كمثل "دان باير" (Dan Baer) الذي يعتبر كبير المحللين في برنامج أوروبا في مؤسسة كارينجي للسلام الدولي، والذي يرى بأن سياسات الصين لا تدل على وجود التزام بالحوكمة العالمية التي تدعو إليها، بل مجرد محاولة لتعزيز أهدافها من خلال المنظمات المتعددة الأطراف، فحسب "دان باير" فإنه عندما ينظر المرء إلى أنواع التحديات التي يجب على العالم معالجتها بنجاح في العقود القادمة فهي تتمثل في: تغير المناخ، الهجرة، والأوبئة، فمن الواضح أن المنظمات المتعددة الأطراف يجب أن تكون أكثر من مجرد مقاصة لسياسات الدولة، لذا فهو يطرح سؤاله حول السياسات الصينية مستفسراً في نفس الوقت، عما يمكن أن نتوقعه من الوجود المتزايد للصين في المنظمات الدولية المتعددة الأطراف، وبسبب خروج - انسحاب على حد تعبير دان - الولايات المتحدة الأمريكية من مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة فإنه لا يمكن إلقاء اللوم على انسحابها لوجود الصين فيه، بقدر أن ما يمكن أن يسببه غياب الولايات المتحدة الأمريكية من خلق بيئة أكثر تساهلاً للصين والأنظمة الاستبدادية الأخرى للسخرية من عملها²¹، وهذا ما ذهب إليه "جون بولتون" (John Bolton) مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق، والذي قد أشار في كتابه "The Room Where it Happened : A White House Memoir"^{*}، الصادر في النصف الثاني من شهر جوان 2020، حيث تطرق فيه إلى ما قام به الرئيس الأمريكي السابق "ترامب" وذلك بالعمل على انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من مجلس حقوق الإنسان بالأمم المتحدة، وكذا انسحابها أيضاً من المنظمة العالمية للصحة، وإصراره على رفع معدل إنفاق حلفائه في ميزانية حلف الناتو، ومواقفه المضادة لاتفاقية المناخ.

إن الرغبة في أن تقوم الصين بدور حاسم على الساحة الدولية في القرن الواحد والعشرين، إنما تعود إلى فترة السبعينيات من القرن العشرين، بعد رفضها نظام القطبية الثنائية، فقد سمح النهج الجيوسياسي للصين بأن ترسخ مكانتها كقوة مستقلة في العلاقات الدولية، كما تبنت مفهوم الأمن الشامل ومفهوم الأمن المشترك ومفهوم الأمن القائم على التعاون، حيث يعمل الجيوسياسيون الصينيون على تحقيق التوازن بين

استراتيجيتهم للانفتاح الاقتصادي العالمي ومصالحهم الاستراتيجية في آسيا، ولقد أقامت الصين تحالف اقتصادي وعسكري مع روسيا في قمة "شنغهاي" سنة 2014، يخص عقود بيع الغاز الروسي لمدة 30 سنة بقيمة 400 مليار دولار، وتجهيز الجيش الصيني بالسلاح الروسي إضافة إلى إجراء مناورات عسكرية مشتركة في المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط، أما فيما يتعلق بالولايات المتحدة الأمريكية فهي أول شريك اقتصادي وتجاري في العالم للصين، حيث أن الاقتصاديين مترابطين وخاصة فيما يتعلق بجانب الاستثمارات الأمريكية في الصين - لقد استدرجت الصين الشركات الأمريكية الخاصة للاستثمار فيها ونقل مقراتها الأم إليها - وبالتالي تحولت الصين شيئاً فشيئاً لمحاوّر لا غنى عنه بالنسبة للدولتين الكبيرتين في العالم، كونها تقوم ببلورة رؤيتها الجيوسياسية حسب تطور طموحاتها على الصعيد الدولي لصيانة مصالحها وسيطرتها الاقتصادية، وفي هذا السياق تم وصف الاستراتيجية البحرية الصينية من قبل المحللين الجيوبوليتكيين بأنها "عقد من اللؤلؤ"، وهي تكمن في حماية المسالك البحرية لتجارتها وتجارة بقية العالم، وهذا يعد مؤشراً للدور الاستراتيجي الذي تتوي الصين القيام به ضمن العلاقات الدولية للقرن الواحد والعشرين²²، الأمر الذي جعلها تطلق مشروعاً ضخماً عرف بطريق الحرير الجديد أو "مشروع الحزام والطريق" والمعروفة أيضاً باسم "طريق واحد - حزام واحد One Belt One Road" بمجيب الرئيس "شي جين بينغ" في مارس 2013، والذي تسعى من خلاله الصين إعادة مسارات طريق الحرير القديم.

ففي محاولة لاحتواء التمدد الصيني؛ حدثت تغييرات هيكلية في استراتيجيات الدول الآسيوية والغربية التي تخشى من زيادة النفوذ الصيني، ويمثل التحالف الرباعي بين الولايات المتحدة الأمريكية والهند واليابان وأستراليا أحد الأطر المؤسسية التي يتم الإعداد لها لاحتواء سياسات الهيمنة الصينية في قارة آسيا، مما يعني أن الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة وبخاصة منطقة المحيط الهندي وجنوب شرق آسيا، ستتزايد بشكل كبير في المستقبل لارتباطها بسياسات الاحتواء العسكري للنفوذ الصيني في آسيا، حيث تعد شبكات تدفق الطاقة ضمن محفزات الاهتمام بتأمين آسيا وهو ما يرتبط بالاستثمارات المتصاعدة في مجال تطوير الموانئ والأساطيل التجارية، والتسابق بين دول التحالف الرباعي والصين للاستحواذ على حقوق تطوير الموانئ على طول سواحل إقليم المحيط الهندي، والتمويل الياباني والأسترالي لمشروعات البنية التحتية في الدول المطلة على المحيطين الهندي والهادئ، وهو ما جعل منطقة المحيط الهندي محدداً أساسياً لمستقبل بنية النظام الدولي²³، فطوال عقدي القرن الواحد والعشرين، كانت الصين تمثل التهديد الرئيسي للهيمنة الأمريكية العالمية، وما أثبتته الواقع وهو أن الصين محاطة بالفعل بالكثير من القواعد العسكرية الأمريكية في منطقتي شرق آسيا والمحيط الهادئ، مع دخولها في حرب تجارية شديدة منذ سنة 2019 مع الولايات المتحدة الأمريكية²⁴، الأمر الذي فرضاً واقعاً معقداً.

ما يمكن الإشارة إليه في ما يخص تفاعلات العلاقات الدولية، أن ضرورات الاعتماد المتبادل الذي لم يعد يجعل في مقدور دولة أن تعيش منفردة أو منعزلة عن العالم، وأن مجموعة القضايا العالمية التي لم تعد

في إمكان دولة أو قوة واحدة أيا كانت قدراتها التعامل معها بمفردها، حيث أن الخريطة الجيوبوليتيكية للعالم سوف تصبح أكثر تعقيدا وأكثر تقلبا، فعدو الأمس قد يكون هو صديق اليوم والعكس، كما أن التحالفات الدائمة التي كانت من دعائم النظام القديم مثل الحلف الأطلسي سوف تكون أقل أهمية رغم ما قد يتطلبه أطرافه، أما فيما يخص من سيكون أكثر أهمية فهي الائتلافات المؤقتة حول بعض القضايا، فما يمكن ذكره هو أن العلاقات بين الدول سوف تتسم بالغموض، وسوف يستبدل العالم بعالم مادي، كما وقد تتحول العلاقات بين القوى الكبرى إلى خليط من التعاون والتنافس²⁵، وربما ستكون هناك مقايضات وتحولات جيوبوليتيكية خاصة فيما أحدثته أزمة جائحة كورونا، وما ستحدثه من تداعيات اجتماعية واقتصادية وسياسية على الواقع العالمي.

ثالثا: الاحتمالات الجيوبوليتيكية التي أحدثتها وستحدثها جائحة فيروس كورونا في العالم

لقد أعلن "فرانسيس فوكوياما" (Francis Fukuyama) الذي يعد أحد أهم منظري تيار المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية، في كتابه "نهاية التاريخ ونهاية الإنسان الأخير" (The end of history and the last man) الصادر عام 1992م أن الانتصار النهائي في العالم سيكون للديمقراطيات الغربية والرأسمالية الليبرالية، وبالتالي عولمة الديمقراطية الليبرالية التي ستؤدي لا محالة إلى السلام العالمي²⁶، وذلك بقوله: "إن الديمقراطية الليبرالية الغربية تشكل نقطة النهاية للتطور الإيديولوجي للبشرية، والشكل النهائي لكل حلم بشري"²⁷، وعلى هذا النحو فهو يرى بأن الديمقراطية الليبرالية كانت خالية من كل تناقضات الأشكال السابقة التي عرفت البشرية²⁸، غير أن الأوضاع التي آلت لها القرن الواحد والعشرين مثل الأزمة المالية العالمية سنة 2008، وقضايا الإرهاب الدولي، وحروب الغرب في الشرق الأوسط والأنظمة الديكتاتورية في عدة دول، قد كذبت تنبؤات "فوكوياما" فيما يتعلق بالاستقرار العالمي تحت هيمنة النموذج الغربي للمجتمع²⁹. ينبع مفهوم نهاية التاريخ عند "فوكوياما" من اعتقاده أن هناك إجماعا حول شرعية الديمقراطية الليبرالية وصلاحتها نظاما للحكم، خاصة بعد سقوط الأنظمة الشيوعية في روسيا وشرق أوروبا، فهو ينظر إلى الديمقراطية الليبرالية بوصفها نقطة نهاية التطور الإيديولوجي للإنسانية، والصورة النهائية لنظام الحكم البشري، وبالتالي فإن الديمقراطية الليبرالية حسب "فوكوياما" تمثل نهاية التاريخ، فليس هناك نظام أفضل من الديمقراطية الليبرالية، بحكم أنها بنية ونسق يحقق النجاح والمثل الأعلى، ولهذا يرى "فوكوياما" أن الديمقراطية الليبرالية ستظل المطمح السياسي الواضح والنهائي الذي يربط مختلف المناطق والثقافات في كوكبنا هذا³⁰.

وبالنظر إلى انتشار فيروس "كورونا كوفيد 19" فقد أفعد الديمقراطية الليبرالية والنيوليبرالية على ركبتها مع إغلاق كامل للنظام في جميع أنحاء العالم، وسيظهر عالم ما بعد جائحة كورونا بأسئلة أكثر حدة تدور حول ما الذي سيقوله عالم ما بعد احتواء الفيروس عن قدرة الأفراد والعائلات والمجتمعات على البقاء؟ - وهو ما يدحض فكرة الانتصار النهائي في العالم التي سيكون للديمقراطيات الغربية والرأسمالية الليبرالية

التي جاء بها "فوكوياما" - وهو ما سيجعل من أن تكون هناك فرصة لإعادة النظر في نموذج "العقد الاجتماعي" الذي ساعد تاريخيا على تطوير الديمقراطية الليبرالية، وعليه استدعو الحاجة الآن أكثر من أي وقت مضى لنقاش عام حول الاستقلالية الأخلاقية للمواطنين في إعادة تعريف حقوق الدولة والتزاماتها وإعادة بناء سلطتهم الأخلاقية³¹، خاصة فيما خلفته وستخلفه سياسة "ترامب" في إدارته للولايات المتحدة الأمريكية، والذي لم يكن أبها لا بالعدالة الاجتماعية أو القانون الدولي ولا بالتحالفات مع الآخرين، مبديا عدم اكترائه بما تخلفه سياسته ومواقفه الخارجية عن مألوف السياسات الأمريكية العالمية التي اعتداد النظام الدولي عليها.

لقد دمر تفشي فيروس كورونا الشركات العامة والخاصة تقريبا بكاملها، حيث أنه قد أثر في عنصرين أساسيين في حركية الاقتصاد: العرض والطلب، مما جعل المحرك الأساسي للاقتصاد العالمي يفقد قوته ويتوقف فجأة وأصبح خاملا في منتصف شهر مارس 2020، مع تداعيات مفتوحة الأجل تُنذر بمزيد من الحذر والعزلة، وعلاوة على ذلك من المرجح أن تأثير فيروس كورونا سيعزز ويعمق التوجه نحو سياسات الأبواب والحدود المغلقة، وتعاضم الشعور العام بعدم الثقة والتمييز وقلب مسار العولمة، إضافة إلى صعود القومية والشعبوية، والسياسات الحمائية والتوجهات المتزايدة ضد الهجرة في السنوات القادمة، لقد أدى هذا الفيروس إلى تعطيل جميع محركات الاقتصاد بما في ذلك شركات الطيران والفنادق وغيرها، فأصبحت معظم المدن في عزلة داخل بلدانها، فسياسات الحجر الصحي المتبعة في أغلب دول العالم قد أدت إلى تراجع الاستهلاك العالمي للسلع مما خلف حالة ركود، وعليه تظل القاعدة الاقتصادية القائمة على أن نظام اقتصادي يكره الركود والعزلة، فعلى سبيل المثال تتأني نسبة 70% من الاقتصاد الأمريكي من الإنفاق الاستهلاكي، وقد توقف حاليا في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل غير مسبوق، ومن غير المرجح أن تتمكن معظم الاقتصاديات من تجنب موجة ركود عارمة على المدى القصير، ومن المرتقب أن يفلس عدد كبير من الشركات، وستفقد الطبقة الوسطى مرة أخرى بعض قدراتها المالية في المجتمعات الليبرالية، ولن يمكن معرفة الآثار الكبيرة للفيروس إلا عندما يتمكن الأفراد من العودة إلى العمل والخروج إلى الأسواق وإنفاق المال بحلول شهر أوت 2020 وما بعده، إذ يضع نموذج "بلومبيرج إيكونوميكس" (Bloomberg Economics) احتمالات الركود خلال عام 2021 عند نسبة 52%، وهي أعلى مستوى منذ عام 2009، ومن ثمة فإن تداعيات فيروس "كورونا كوفيد 19" تدحض فرضية أن الاقتصاد الأمريكي خال من عناصر الركود كما كان شائعا بحلول عام 2020³²، الأمر الذي ألقى بظلاله على مسار إعادة انتخاب الرئيس "ترامب" لعهدة ثانية في نوفمبر 2020، والذي أصبح أكثر صعوبة خاصة في حالة الركود، في الوقت الذي أظهرت فيه الاستطلاعات أن موقف الرئيس السابق "ترامب" قد انزلق على جميع المستويات، إذ عانت الولايات المتحدة الأمريكية من التأثير الاقتصادي لجائحة فيروس كورونا ومن تأثير الاحتجاجات على مستوى البلاد بعد مقتل "جورج فلويد" (George Floyd) في 25 ماي 2020 على يد الشرطي العنصري³³.

وبالعودة إلى الصين فقد أشادت بها منظمة الصحة العالمية بالنهج الذي اتبعته في السيطرة على انتشار الفيروس، كما قامت الحكومة الصينية بإرسال إمدادات طبية إلى إسبانيا وإيطاليا اللتين قد تضررتا بشدة من الفيروس، وقدمت أيضا المشورة إلى حكومات إسبانيا والعراق وإيران ودول أخرى، الأمر الذي جعل المدير العام لمنظمة الصحة العالمية "تيدروس غيبريسوس" يصف التعاون الصيني الإيطالي بأنه: "مثال مثالج للصداقة على أواصر التضامن"، وقد رد عليه "تشانغ جون" (Zhang Yun) سفير الصين لدى الأمم المتحدة بقوله: "الصديق المحتاج هو الصديق بالفعل، سنفعل ما بوسعنا لمساعدة البلدان الأخرى على محاربة الفيروس"، وما يمكن قوله في هذا الصدد هو أن المسؤولين الصينيين قد نجحوا في تحويل أزمة جائحة فيروس كورونا إلى فرصة كبيرة عالمية للترويج للدبلوماسية العامة، مما جعل الصين سنة 2020 تتفوق على القوة الناعمة للولايات المتحدة الأمريكية في أوروبا، والتي أعيد بناؤها بفضل "خطة مارشال" التي صممتها الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، وفي الوقت الراهن تمر الصين بلحظة تاريخية وكأنها رائدة عامية في مجال الصحة العامة، وعلى استعداد لتولي أدوار أخرى في زعامة العالم³⁴.

ولربما أن ظهور حالة أقول القطب الواحد الذي يترجم العالم بشكل واضح وجلي خاصة سنة 2019 وخلال السنة الحالية 2020، هي ما جعلت "إيان بريمر" (Ian Bremmer) أستاذ الجيوبوليتيك في جامعة كولومبيا يقول بـ "إن التحدي الذي يواجهها اليوم هو انحلال النظام العالمي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وغياب القيادة العالمية للتدخل وتولي دورها، نحن نعيش في عالم فراغ الزعامة (G-Zero)، أي وجود فراغ للقوى في السياسة الدولية بسبب تراجع دور الولايات المتحدة الأمريكية وتركيز الدول النامية على أوضاعها الداخلية، وسط حالة جديدة من الركود الجيوسياسي واتساع نطاق تأثيرها، وفي حالة الركود الجيوسياسي هذه يؤدي انكسار السياسات العالمية إلى تأجيج المخاطر العالمية بدلا من المساعدة في حلها"، ومن ثمة فإن فيروس كورونا يعتبر إشارة أخرى حول الاختلال الوظيفي للسياسة العالمية التي تحركها الواقعية السياسية، ومن المؤكد أنه ستكون هناك نزعة قومية تكنولوجية وحمائية اقتصادية ضمن دائرة التنافس الأمريكي، الأوروبي، الصيني، وكذا الروسي³⁵، ويُذكر هنا أنه على مدى السنوات العشرين الماضية من القرن الواحد والعشرين، قد عادت روسيا جارة الصين من الجهة الغربية، إلى الظهور كقوة رئيسية في عهد الرئيس "فلاديمير بوتين"، والذي عمل على تزايد الحضور الروسي على الساحة الدولية بشكل كبير³⁶، سواء على مستوى التحالفات السياسية والأمنية أم الاقتصادية، وقد عمل على التعاون اقتصاديا مع الصين، إذ بدأ الغاز الطبيعي يتدفق من روسيا إلى الصين للمرة الأولى في 2 ديسمبر 2019 عندما أطلق الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" والرئيس الصيني "تشى جين بينغ" رسميا المرحلة الأولى من خط أنابيب جديد ضخ يعرف باسم "قوة سيبيريا"، يمتد أكثر من 2200 كيلومتر (1300 ميل)، ومن المتوقع حسب "شركة غازبروم" عملاق الطاقة المملوك للدولة في روسيا، أن تحقق إيرادات بقيمة 400 مليار دولار، وهو أكبر عقد تصدير على الإطلاق بين الدولتين، والمحمّل أن يحقق خط الأنابيب هذا أرباحا ليست فقط اقتصادية بل

سيصبح مربحا من الناحية الجيوبوليتيكية أيضا، مما يؤدي إلى تسريع الوفاق الاستراتيجي بين ثاني أكبر منتج للغاز في العالم وأكبر اقتصاد في آسيا، في وقت يتراجع فيه التأثير العالمي للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها أمام كل من روسيا والصين³⁷، والجدير بالذكر هنا هو أن روسيا تساعد الصين على تعزيز قوتها من خلال توفير أسلحة متقدمة وتكنولوجيا عسكرية ودعم دبلوماسي لمواقفها بخصوص كوريا الشمالية وبحر الصين الجنوبي، وذلك من خلال التوقيع على شراكة غير متكافئة مع الصين، إذ تسعى روسيا إلى أن تتكيف مع حقيقة استمرار تراكم القوة الصينية في آسيا، كما تستعد روسيا لتصبح معتمدة بشكل متزايد على الصين كمصدر للتكنولوجيا والاستثمارات كحد أدنى³⁸.

ستكون الصين القوة الاقتصادية العظمى القادمة في العالم، ولكن كيف ستصل إلى هناك؟ ففي كتاب "الصين 2049" (China 2049)، والذي يحمل تحته عنوانا فرعيا آخر ألا وهو "التحديات الاقتصادية لقوة عالمية صاعدة Economic Challenges of a Rising Global Power"، والذي أصدره كل من "ديفيد دولار" (David Dollar) و"يبينج هوانج" (Yiping Huang) و"يانغ ياو" (Yang Yao) في 9 جوان 2020، والذي قدموا فيه تحليلا متعمقا للتحديات المتزايدة في الصين، مستخلصين فيه بأن نجاح الصين أو فشلها سيكون له تأثير كبير على الاستقرار والازدهار ليس فقط في الصين بل العالم بأسر، متسائلين في نفس الوقت عن الكيفية التي ستصبح الصين القوة الاقتصادية الأولى في العالم بحلول منتصف القرن الواحد والعشرين أي 2049م³⁹، خصوصا إذا ما تم التسليم بأن الصين هي القوة الاقتصادية العظمى في العالم خاصة ما بعد الأزمة المالية لسنة 2008، والتي بينت فيها الصين مدى قدرتها على أن تكون الدولة الوحيدة في العالم التي لم تتأثر بتلك الأزمة لدرجة أن الولايات المتحدة الأمريكية قد لجأت إليها للاقتراض منها، وأيضا ما أثبتته نواتج الاقتصاد الصيني لسنتي 2018 و2019 والذي جعل من الولايات المتحدة الأمريكية تعلن عليها الحصار والحرب الاقتصادية، كما أثبتت أيضا قدرة الصين الاقتصادية وكذا حنكتها وقت الأزمات وهو ما تجلى بشكل واضح من خلال جائحة فيروس كورونا الذي اجتاح العالم، وأثر بشكل كبير على اقتصاديات الدول الرأسمالية الليبرالية وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية.

وما يمكن الإشارة إليه هو أن تلك المسافة بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية كانت تنمو بشكل مطرد في السنوات الأخيرة، ومع ذلك، فإن جائحة فيروس كورونا قد كشفت عن مدى سوء العلاقات بين القوتين، إذ أن حالة التنافس المتسارع بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين، تعمل على زعزعة استقرار العلاقات الدولية حول العالم، كما يزيد من مناطق الصراع ويسبب تفتت التحالفات في جميع أنحاء العالم، كما أنه يفرض تحديات على الاتحاد الأوروبي، الذي يعيد تقييم العلاقات الصينية الأوروبية خاصة أثناء الأزمات التي أحدثها فيروس كورونا، وعليه فإن تزايد حدة التنافس بين الولايات المتحدة والصين قد أحدث تساؤلات عدة من بينها؛ التساؤل حول ما هي عواقبه على بقية العالم؟ وكيف ستكيف خيارات دول أوروبا؟ وكيف يمكن للاتحاد الأوروبي أن يصمم استراتيجية مشتركة تجاه الصين تتقاطع مع مجالات السياسة

والاقتصاد الرئيسية مثل المناخ، التكنولوجيا، الصحة وغيرها؟ وكيف يمكن لهذه الاستراتيجية أن تحمي العلاقات عبر الأطلسي؟⁴⁰

على الرغم من أن تأثير جائحة فيروس كورونا على شبكات التوريد والتجارة العالمية والذي يمكن أن يغير موازين القوى العالمية بشكل ملحوظ، إلا أن البيانات التجارية التي تم إصدارها مؤخرا تظهر التأثير المبكر للحرب التجارية على أكبر اقتصادين في العالم ومستقبل التجارة العالمية، فلم تسفر التعريفات الجمركية عن أي تحسن حقيقي في الميزان التجاري الأساسي للولايات المتحدة الأمريكية، بينما زاد الفائض التجاري الصيني وأصبحت أسواق تصديرها أكثر تنوعا، خاصة في ظل السباق لتأمين الإمدادات الطبية وتطوير لقاح فيروس كورونا⁴¹، والجدول التالي يرصد مستوى التبادل التجاري بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين والذي يبين حالة العجز في الميزان التجاري:

جدول رقم 01: التبادل التجاري بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين خلال الأشهر الأولى من سنة 2020 (بملايين الدولارات)

الشهر	الصادرات	الواردات	العجز التجاري
جانفي 2020	7.215.3	33.280.6	-26.065.3
فيفري 2020	6.815.0	22.813.1	-15.998.1
مارس 2020	7.971.9	19.805.4	-11.833.5
أفريل 2020	8.604.7	30.070.8	-22.466.1
المجموع	30.606.9	106.969.9	-76.363.0

المصدر: الإمام محمد محمود، "الحروب التجارية الأمريكية الصينية ومستقبل الصراع بعد جائحة كورونا"، أوراق بحثية، 20 جوان 2020، المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية، نواكشوط، موريتانيا، ص. 6، المعلومات التي أخذ منها صاحبة البحث كانت نقلا عن الرابط التالي: <https://bit.ly/3ghCqde>

إن ما يمكن أن التأكيد عليه هو أن الواقع الدولي سيشهد تغيرا بعد جائحة فيروس كورونا، وربما ستكون من بين سماته الرئيسية، عالم متعدد الأقطاب ستبقى فيه الولايات المتحدة الأمريكية والصين أكبر الجهات الفاعلة على المسرح العالمي، حتى لو تضاعلت قدرتهما وإرادتهما على الصعيد العالمي على مدى السنوات القادمة بشكل كبير، نتيجة لما سيخلفه فيروس كورونا، كما سيكون هناك تنافس على الموارد والطلبات المحلية، والانشغال بالمسائل الداخلية لكل دولة في العالم، وفي الوقت نفسه سيستمر عدد من الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية الهامة في ممارسة نفوذ كبير في الشؤون الإقليمية والعالمية، وسوف تبقى منطقة أوراسيا والمناطق المحيطة الخاصة بمنطقة الهلال الهامشي المحيطة بها مركز الجاذبية الاستراتيجية في العالم⁴²، ويمكن الاستدلال هنا بنظرية الإطار أو الهامش الجيوبوليتيكية عند "سبيكمان"

خاصة وأن مرحلة ما بعد الحرب الباردة قد أوضحت بشكل جلي تأثير أفكار "سييكمان" في استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية، والتركيز على القارة المشاطئة للبحر في إشارة منه إلى أهمية موقع الصين، وبذلك تضيف الاستراتيجية الأمريكية الأرض "المؤطرة" أو الإطار الصيني إلى الأرض الجزيرية اليابانية كمحاولة لأخذ قلب الأرض السوفييتية أو الروسية حالياً من الخلف مع عدم تجاهل محاولات الاندفاعات الروسية نحو البحار الدافئة⁴³.

وكنتيجة لمحاولة روسيا التوطن في الأراضي الليبية، واستغلال فرصة حالة الإلتهااء الأمريكي بفيروس كورونا وبما يجري فيها من مظاهرات وأعمال ساخطة على الرئيس "ترامب" وعن مقتل "جورج فلويد" على يد الشرطي، في استراتيجية لها للتمركز في المياه الدافئة بالبحر الأبيض المتوسط من خلال سوريا وليبيا، وكرد فعل قامت قوات من حلف الناتو بمحاولة التشتيت الروسي وذلك من خلال الإسراع بالقيام بتدريب بحري يشارك فيه حوالي 3000 جندي، حيث بدأ التدريب بتاريخ 7 جوان 2020، والذي سيستمر إلى غاية 16 جوان 2020، ويشمل القوات البحرية والجوية مع حوالي 30 سفينة وغواصة و30 طائرة، ويشمل التدريب الدفاع الجوي، والحرب المضادة للغواصات، والحظر البحري وعمليات مكافحة الألغام المضادة، وقد أطلق على هذه العمليات اسم "BALTOPS 2020"، ولضمان سلامة وصحة الأفراد العسكريين المشاركين ستقام تلك العملية حصرياً في البحر، هذا البحر الذي قالت عنه المتحدثة باسم الناتو "أونا لونجيسكو" (Oana Lungescu): "إن بحر البلطيق له أهمية استراتيجية حيوية للحلف، ويحده ست دول من الناتو وشريكين مقربين"⁴⁴، وتجدر الإشارة هنا أنه وللمرة الأولى تتم قيادة التمرين على الشاطئ من قبل القوات البحرية الضاربة وقوات الناتو (STRIKFORNATO) من مقرها في لشبونة بالبرتغال، وحسب تصريح لنانبة الأدميرال "ليزا فرانشيتي" (Lisa Franchetti)؛ القائدة في القوات البحرية لقوات الناتو وقائد الأسطول السادس الأمريكي بأن: "عملية "BALTOPS 2020" توفر الفرصة لحلف شمال الأطلسي والدول الشريكة للعمل معاً، وتبادل أفضل الممارسات لتحسين العمليات في العالم الحقيقي"، وتعد هذه العملية هي أكبر سلسلة تمارين في بحر البلطيق، الأمر الذي جعل روسيا تقوم بالقيام بالتحرك النشط لجيش بحر البلطيق من خلال إرسال 10 مقاتلات روسية تزامناً مع التدريب الزمني لقوات حلف الناتو في بحر البلطيق، وفي جانب آخر أيضاً من محاولة محاصرة الولايات المتحدة الأمريكية للصين رغم وجود جائحة فيروس كورونا، فقد أقدمت على القيام بتدريبات عسكرية مشتركة في بحر الصين الجنوبي، وذلك من خلال المناورات التدريبية بين السفينة القتالية الأمريكية "USS Gabrielle Giffords (LCS 10)" والفرقاطة الشبحية المتعددة الأدوار للبحرية من جمهورية سنغافورة "RSS Steadfast (FFS 70)" في 25 ماي 2020، حيث تتحرك القوات المسلحة الأمريكية - بطريقة مكثفة لعمليات نشر القوات العسكرية - لاستعادة الردع ضد الصين في غرب المحيط الهادئ، وبما يساعد على ردع الحسابات العسكرية الصينية⁴⁵.

إنه من المحتمل أن يشهد العالم انتشار التقنيات العسكرية الجديدة التي تسعى إلى مزيد من الضغط على أنظمة عدم الانتشار العالمية، خاصة في غياب تدابير جديدة متعددة الأطراف تعزز المعايير والمؤسسات التي تحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل، كما أنه من المحتمل أن يكون هناك عالم أكثر عرضة للنزاعات والأخطار، وبالتالي سيكون هناك عالم غير مستقر استراتيجيا، وكذا عالم متحول تقنيا وأكثر تقدما من الناحية التكنولوجية مما عليه العالم اليوم، في مختلف التقنيات مثل الذكاء الاصطناعي، وشبكات الجيل الخامس، ومصادر الطاقة المتجددة، ولقاحات الفيروسات التاجية الجديدة، والتي ستوسع الدائرة التنافسية ولن تكون هناك دولة واحدة محتكرة، وهو ما يلقي بضلاله على الاقتصاد العالمي وطبيعة النظام الدولي، وعليه سيتم الاعتماد بشكل أساسي على الاتجاهات الجيوسياسية العالمية وعلى العوامل المحلية في كل دولة، والتي ستؤثر على أولويات سياستها الخارجية، كما أنه من المحتمل أن يتقلص الدور العسكري الضخم الذي لعبته الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط وجنوب غرب آسيا في العقود الأخيرة⁴⁶، حيث يعتبر "باري بافيل" (Barry Pavel)* أن جائحة فيروس كورونا أكبر صدمة استراتيجية للجغرافية السياسية منذ الحرب العالمية الثانية، وعليه فإن الصدمات الثانوية التي يُولدها هذا الفيروس - بما في ذلك الانكماش الاقتصادي الذي يمكن أن يؤدي إلى كساد كبير - يمكن أن تكون مهمة بنفس القدر إلا أنه لا يمكن التنبؤ بها في آثارها⁴⁷.

ويبدو أن كتاب "جون بولتون" (John bolton) مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق، الصادر في 23 جوان 2020، بعنوان "The Room Where it Happened : A White House Memoir"، قد بين أمورا توضيحية من الوقائع باعتباره شاهدا عليها فترة إدارة الرئيس السابق "ترامب"، كشفت عن ظهور السياسة الأمريكية في عهده بمظهر "السياسة المرتبكة" والتي حسب "بولتون" قد أدت إلى تراجع القوة الأمريكية في النظام الدولي أمام قوى أخرى كالصين وروسيا، فحسب "وليد عبد الحي" فإن هذا الكتاب يعتبر تعبير عن مرحلة من مراحل التراجع الأمريكي الذي تحدث عنه الكثير من المفكرين والخبراء في الدراسات المستقبلية على غرار "بول كينيدي" وغيره، ونتيجة لما تم ذكره، فإن السنوات القليلة المقبلة وما بعدها ستشهد على الأرجح أن تؤدي الولايات المتحدة الأمريكية دورا أقل نشاطا وتأثيرا في الشؤون العالمية، لقد انقضت لحظة القطب الواحد وأصبحت التحالفات الأمريكية متضررة بشكل جلي؛ الأمر الذي يجعل النظام الدولي يتحول إلى نظام عالمي أكثر تعقيدا وغموضا وإرباكًا، حيث تقوم القوى الإقليمية والعالمية الرئيسية الأخرى بإعادة التوازن، إذ لم تتأقلم المفاهيم القائمة في حقبة الحرب الباردة وما بعد الحرب الباردة للقيادة الأمريكية والاستثنائية فمن المرجح أن تظل العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا مثيرة للجدل لأن الإدارة الأمريكية ستستمر في النظر إلى دفاع روسيا عما تراه مصالحها المشروعة - والنشاط الروسي بشكل عام - كدليل على أن روسيا لا تزال معادية للقيادة الأمريكية للنظام الدولي القائم على القواعد⁴⁸.

الخاتمة

لقد خضعت مجموعة من القواعد والمبادئ والمؤسسات التي باتت تعرف جميعها بالنظام الليبرالي - المحدث بعد الحرب العالمية الثانية - للضغوطات بشكل متزايد من قبل القوى الكبرى، جاعلة كلاً من الضغوطات الجيوسياسية والإيديولوجية موضع الشك في استدامة ذلك النظام العالمي كما يتم تصويره عالم اليوم، خاصة في ظل التغيرات الدولية الأخيرة سواء السياسية أو الاقتصادية، وعلى وجه الخصوص ما يمكن أن تحدثه جائحة فيروس كورونا، والتي تدعو بقوة إلى إعادة تشكيل نظام عالمي جديد تسوده أقطاب متعددة ولا تتفرد فيه قوة واحدة في هرميته، تعترف فيه ببعضها البعض، وبقدرة كل القوى الرئيسية والمؤثرة فيه على إحداث التوازن وقيادة العالم بشكل متكافئ دونما التقليل من قدرات الآخر، واعتباراً لذلك فقد خلص هذا البحث إلى النتائج التالية:

- 1 - إن عالم ما بعد جائحة فيروس كورونا سيؤدي إلى تسارع التغيير الهيكلي في النظام الاقتصادي العالمي، وربما العمل على استخدام واستحداث أمراض وفيروسات أخرى معدية مقصودة.
- 2 - ستسعى الدول الكبرى إلى العمل على استغلال أزمات جائحة فيروس كورونا من أجل تحقيق ميزات جيوبوليتيكية.
- 3 - إن السنوات القليلة المقبلة وما بعدها ستشهد على الأرجح أن تؤدي الولايات المتحدة الأمريكية دوراً أقل نشاطاً وتأثيراً في الشؤون العالمية، وستكون هناك رهانات جيوبوليتيكية بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين للعقد أو العقد القادمين، خاصة وأن الصين تحضر للاحتفال بمئويتها سنة 2049، وهي تحضر نفسها بأن تصلك إلى ذلك العام وهي تقود النظام الدولي جنباً إلى جنب مع الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وفق نظام دولي متعدد الأقطاب.
- 4 - إن الصين تتحرك من خلال الارتكاز على نظامها السياسي، الاقتصادي والعسكري وكذا شبكة علاقاتها الدولية من أجل التطلع إلى مكانة أفضل في هرمية النظام الدولي.
- 5 - سيزداد التحالف الاستراتيجي الروسي - الصيني قوة، خاصة في ظل رغبة الإدارة الأمريكية الجديدة بقيادة "جوي بايدن" إلى إعادة تلميع صورة الولايات المتحدة الأمريكية بشكل تدريجي اعتماداً على حلفائه الأوروبيين.

الهوامش

- 1 - أحمد بن ضيف الله القرني، "عالم ما بعد كورونا: هل يشهد أفولاً للهيمنة الأمريكية"، 31 ماي 2020، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، (2021/06/02)، نقلاً من الرابط التالي: <https://bit.ly/31kdqg4>

2 - نفس المرجع.

3 - Alexander Dugin, "Coronavirus and the horizons of a multipolar world: the geopolitical possibilities of epidemic", 17/03/2020, Portal Geopolitika.ru, platform for continuous monitoring of the geopolitical situation in the world, (20/05/2021), see the link: <https://bit.ly/34oOmrd>

4 - Ibid.

5 - Ibid.

6 - عمرو عبد العاطي، "مستقبل مضطرب للمنظمات الدولية في عصر الأوبئة"، سلسلة دراسات خاصة، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ع. 9، 01 ماي 2020، ص. 12.

7 - Alexander Dugin, Op. cit.

8 - Ibid.

9 - Ibid.

10 - Ibid.

11 - روبرت غيلبن، الحرب والتغيير في السياسة العالمية، (ترجمة: عمر سعيد الأيوبي)، (بيروت: دار الكتاب العربي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، 2009)، ص. 223.

12 - Arnold J. Toynbee, Survey of International Affairs, (London: Oxford University Press, 1931), p. 131.

13 - روبرت غيلبن، مرجع سابق، ص. 224.

14 - عمر عبد العاطي، مرجع سابق، ص. 3.

15 - نفس المرجع، ص. 8.

16 - نفس المرجع، ص. 7.

17 - مدحت أيوب، "استعادة التوازن .. الثورات العربية وإعادة تعريف نمط صعود الصين"، ملحق تحولات استراتيجية، مجلة السياسة الدولية، م. 47، ع. 190 (أكتوبر 2012)، ص. 26 - 27.

18 - عمرو عبد العاطي، مرجع سابق، ص. 9.

19 - "Xi Jinping Chairs the Extraordinary China-Africa Summit On Solidarity Against COVID-19 and Gives a Keynote Speech", The Forum on China-Africa Cooperation (FOCAC), Secretariat of the Chinese Follow-up Committee of the Forum on China-Africa Cooperation, 22 June 2020, Quoted from the Chinese Foreign Ministry website, (27/04/2021), see the link: <https://bit.ly/2YsNPRp>

20 - "Xi Jinping Chairs the Extraordinary China-Africa Summit On Solidarity Against COVID-19 and Gives a Keynote Speech", Op.cit.

21 - Dan Baer, "How Will China Shape Global Governance?", May 09, 2020, China File, (22/06/2020), see the link: <https://bit.ly/3hi6czT>

* لمزيد من المعلومات يرجى مراجعة كتاب:

John Bolton, The Room Where it happened: A White House Memoir, (New York: Simon & Schuster, 2020).

* عقد اللؤلؤ: هي رؤية صينية تتشكل من شبكة الموانئ الجيوستراتيجية التي تربط الصين بالأسواق والموانئ الدولية ذات الأهمية والتي تزيد من دينامية تدفق التجارة والاستثمارات العالمية.

22 - عبد العزيز جراد، الجيوستراتيجية: مفاهيم، معالم، ورهانات، (الجزائر: منشورات الشهاب، السداسي الأول 2018)، ص. 118 - 120.

23 - منى مصطفى، "عودة أوراسيا: تجدد الاهتمام الأكاديمي بالترابط الجغرافي بين أوروبا وآسيا"، سلسلة أوراق أكاديمية، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، ع. 6، (7 أبريل 2019)، ص. 6 - 7.

24 - Shane Quinn, "US tightens the noose on China as a result of coronavirus campaign", 16/03/2020, Portal Geopolitika.ru, platform for continuous monitoring of the geopolitical situation in the world, (20/04/2020), see the link: <https://bit.ly/3ggSaxa>

25 - السيد أمين شلبي، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005)، ص. 193 - 194.

26 - عبد العزيز جراد، مرجع سابق، ص. 125.

27 - Francis Fukuyama, The End Of History and the Last Man, (New York: A Division of Macmillan, Inc, 1992), p. xi

28 - Ibid, p. xi.

- 29 - عبد العزيز جراد، مرجع سابق، ص. 125.
- 30 - وسيلة خزار يعيش، "نهاية التاريخ: فرانسييس فوكوياما نموذجاً"، مجلة العلوم الإنسانية، ع. 30، (ديسمبر 2008)، ص. 127 - 133.
- 31 - محمد الشرقاوي، "التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتآكل النيوليبرالية"، الجزء الثاني، سلسلة تقارير، مركز الجزيرة للدراسات، (30 مارس 2020)، ص. 21.
- 32 - نفس المرجع، ص. 5 - 6.
- 33 - Gregory Korte, "When was George Floyd killed or dead, Trump's 2020 Path Gets Trickier With U.S. Formally in Recession", 9 juin 2020, 20:29, (10/06/2020), see the link: <https://bloom.bg/32hOE0v>
- 34 - محمد الشرقاوي، مرجع سابق، ص. 10.
- 35 - نفس المرجع، ص. 18.
- 36 - Shane Quinn, Op. cit.
- 37 - Artyom Lukin, "How a Huge New Gas Pipeline Boosts Russia's Strategic Entente With China", Dec. 17, 2019, (20/06/2020), see the link: <https://bit.ly/2E9MqIF>
- 38 - Richard Sokolsky and Eugene Rumer, "U.S.-Russian Relations in 2030", June 15, 2020, the Carnegie Endowment for International Peace, (22/06/2020), see the link: <https://bit.ly/2QfDW5b>
- 39 - David Dollar, Yiping Huang, and Yang Yao, "China 2049 Economic Challenges of a Rising Global Power", June 9, 2020, Brookings Institution Press, (10/06/2020), see the link: <https://brook.gs/2FKM0IV>
- 40 - Join Erik Brattberg, Alice Ekman, Evan A. Feigenbaum, "Europe and the U.S.-China Rivalry", conference Live Online, 23 juin 2020, Brussels (CEST): 4:00-5:00 p.m, Carnegie Europe, see the link: <https://bit.ly/3hi6Qxj>
- 41 - Yukon Huang and Jeremy Smith, "In U.S.-China Trade War, New Supply Chains Rattle Markets", June 24, 2020, the Carnegie Endowment for International Peace, (24/06/2020), see the link: <https://bit.ly/3j6B4nl>
- 42 - Richard Sokolsky and Eugene Rumer, Op.cit.
- 43 - نوار محمد ربيع الخيري، مبادئ الجيوبوليتيك، (بغداد/ دمشق: دار ومكتبة عدنان وأفكار للدراسات والنشر ودار صفحات للدراسات والنشر، 2014)، ص. 184 - 185.
- 44 - "NATO navies and air forces exercise in the Baltic Sea", 07 Jun 2020, (12/06/2020), see the link: <https://bit.ly/3goOppx>
- 45 - Barry Pavel, "The Coronavirus Is Raising the Likelihood of Great-Power Conflict", June 1, 2020, (02/06/2020), see the link: <https://bit.ly/2Qi2FFR>
- 46 - Richard Sokolsky and Eugene Rumer, Op.cit.
- * "باري بافيل Barry Pavel": مدير مركز برنت سكوكروفت للأمن الدولي في المجلس الأطلسي، وفي الفترة ما بين 2008 إلى 2010 كان مساعداً خاصاً لرئيس الأركان ويعتبر كبير المديرين لسياسة واستراتيجية الدفاع في موظفي مجلس الأمن القومي الأمريكي، كما عمل كرئيس للأركان ونائب مساعد وزير الدفاع للعمليات الخاصة.
- 47 - Richard Sokolsky and Eugene Rumer, Op.cit.
- 48 - Ibid.